ميناء الجار اضمحلاله وانهياره في القرنين الخامس والسادس الهجريين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين
دراسة في الأسباب والنتائج

د. علاء محمد عبد الغني حسن شعبان
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
الجامعة العربية المفتوحة– فرع الكويت

ملخص البحث:

ميناء الجار الميناء الأول للدولة الإسلامية والميناء الثاني في الحجاز، حيث يقوم بتغذية المدن والقرى التابعة لشمال الحجاز والمدينة المنورة بالسلع والبضائع التي تحتاج إليها، فهو المرفد الأساسي لتلك المنطقة بأكملها، حيث تميزت الجار بأن أغلب سكانها تجار، أما عن عمارة المدينة، فإنها كانت مبنية على شكل القصور، واتصفت أسواقها بأنها متعددة ونظيفة، لذا فكانت موضع جذب للتجار من جميع أنحاء العالم، فكان الميناء مزدهرًا خلال الأربعة قرون الأوائل من الدولة الإسلامية، غير أنه في القرنين الخامس والسادس الهجريين بدأ الميناء في الانهيار بالتدريج؛ بسبب بعض الأمور والأحداث منها الصراعات السياسية، والقحط الذي كان يحدث في الحجاز على فترات متفاوتة، بالإضافة إلى المجاعة التي كانت تحدث في مصر، فكان لها الأثر الكبير على الجار تجاريًّا، ومن أهم الأسباب التهديدات التي كان يقوم بها الصليبيون بين الحين والآخر على المدينة المنورة عن طريق ميناء الجار بغرض الاستيلاء على تجارة البحر الأحمر، وإن كانت هذه التهديدات تفشل غير أنها كانت تؤثر على حركة التجارة في ميناء الجار، وكذلك ما قام به بعض القبائل العربية بالغارات على ميناء الجار لنهب ثرواته ونهب التجار، مما دفع التجار للتوقف عن الذهاب لميناء الجار، مما أثر على الميناء كليًّا، وكان من نتائج ذلك توقف الحركة التجارية في الميناء الذي أصبح سراباً، وكذلك تحولت التجارة منه إلى ميناء ينبع ليصبح الجار بعد هذا التقدم والتطور في بداية القرن السابع الهجري كأن شيئاً لم يكن.

Abstract

Abstract Alger was the Islamic State's first sea port. The second seaport was in Hijaz. Alger supplied the towns and villages in northern Hijaz and Madina Munawara with the commodities and goods they needed. It was the main tributary to whole region. The inhabitants of Alger were mostly tradesmen. The architectural design of Madina was mainly palatial. Madina was famous for its several clean markets which attracted merchants from all over the world. It was home to major groups of merchants. The primary reason for that was its unique geographical location. Therefore, the Fatimiyaa State and later the Ayoubia State worked hard using all ways and means to ensure that Alger seaport was commercially prosperous. However, in the fifth and sixth Hijra centuries, this seaport went on a gradual decline as a result of certain events, political conflicts and drought which hit Al-Hijaz region intermittently. In addition to the famine that swept through Egypt, which had severe commercial impact on Alger. Of the main reasons for that were the threats of invasion frequently made by the Crusaders against Al-Madina to seize control of commercial activity throughout the Red Sea. Even though those threats were futile, but they still had an impact on commercial traffic in the Alger seaport. Similarly, the raids made by some Arab tribes against Alger seaport to pillage its resources and plunder the merchants. This made the merchants stop using the seaport, which brought life at the seaport to a standstill. Commercial traffic came to a stop. Thus merchants had to turn to Yanbu seaport instead. This marked the end of Alger, which enjoyed progress and prosperity in the early seventh century of Hijra, as if it had never existed

المقدمة:

كان ميناء الجار يعد من الموانئ المهمة على البحر الأحمر، ولأهميته سمي البحر الأحمر ببحر الجار، فهو يعتبر الميناء الأول في الإسلام، فقد اتسم الميناء بساحله الكبير، الذي يستطيع أن يستقبل العدد الكبير من السفن من مختلف أنحاء العالم، فكان ميناءً متحضرًا، حيث اهتم به حكام المدينة وولاة الجار، وكانوا دائمًا يطورنه بكافة السبل، بالإضافة إلى أن نظام التعامل فيه كان راقيًا، فعمل على جذب التجار إليه، من بداية الدولة الإسلامية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ولكن بعد ذلك بدأت تضعف الحركة التجارية في الميناء بالتدريج نتيجة لبعض العوامل منها القحط الذي كانت يصيب الحجاز ومصر في بعض السنوات مما يعمل على توقف الحركة التجارية في الميناء لفترات، غير أن الأهم من ذلك التوترات السياسية التي كانت تحصل بين الحكومة المصرية وولاة الحجاز، مما يدفع الحكومة المصرية لمعاقبة ولاة الحجاز بعدم إرسال المساعدات، وإيقاف القوافل التجارية إلى الجار، مما يعمل على توقف الحركة التجارية في الميناء، ولا يمكن تجاهل ما يقوم به الصليبيون من تهديدات للمدينة المنورة عن طريق الجار سواء للاستيلاء على تجارة البحر الأحمر أو تهديد المقدسات الإسلامية، مما يعمل على كساد الحركة التجارية في ميناء الجار، غير أن من أهم الأسباب التي عملت على انهيار الجار هجوم بعض القبائل العربية، وتعديهم على ميناء الجار طمعاً في ثروات أهله وخيراتهم حتى خربوا الميناء تمامًا، فكان من النتائج المترتبة على ذلك ظهور ميناء بديل، فقامت الدولة الأيوبية باختيار ميناء ينبع ليحل محل ميناء الجار في بداية القرن السابع الهجري .

ولهذه الدراسة أهمية لاعتبارات عده منها كشف النقاب عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء انهيار ميناء الجار، والنتائج المترتبة على ذلك.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض الأسئلة منها:

- أين تقع الجار؟
- ما العوامل التي عملت على انهيار الجار؟
- كيف أنهار ميناء الجار في بداية القرن السابع الهجري؟
- لماذا تحولت التجارة من ميناء الجار إلى ميناء ينبع؟

وتهدف الدراسة إلى تحقيق عدة أمور منها:

- التعرف على الموقع الجغرافي للجار قبل انهياره.
- إظهار العوامل التي عملت على انهيار ميناء الجار.
- توضيح النتائج المترتبة على انتهاء ميناء الجار.

أما عن المنهج المستخدم في الدراسة، فهو المنهج الوصفي والمنهج التحليلي من خلال وصف ميناء الجار والعوامل التي أدت إلى انهيار ميناء الجار ونتائج ذلك، وتحليل تلك العوامل والنتائج.

صعوبات الدراسة: تكمن صعوبة الدراسة في تناثر المعلومات في الكتب، وبخاصة في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

أما عن الدراسات السابقة: من الدراسات السابقة سعيد بن عبد الله القحطاني، ميناء الجار من العهد الراشدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري من حيث الاستمرارية والتحول في النشاط التجاري، الجمعية التاريخية السعودية، العدد العاشر، مجلد ٢، ٢٠٠٧ م.

تكمن إشكالية الدراسة في كيفية انهيار ميناء الجار، والنتائج المترتبة على ذلك.

وتدور محاور الدراسة حول:

أولا: التعريف بالجار.

ثانيا: عوامل انهيار ميناء الجار.

ثالثا: النتائج المرتبة على انهيار ميناء الجار.

أولا التعريف بالجار: [١] ميناء الجار من الموانئ القديمة والمهمة على البحر الأحمر، فهو الميناء الأول للدولة الإسلامية، حيث كان يخدم المدينة المنورة بخاصة،

(١) الجارُ: بتخفيف الراء، وهو الذي تجيره أن يضام. ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م، ٢/ ٩٢.

وشمال الحجاز عامة[١]، ولأهمية الجار، فقد سمي البحر الأحمر كله ببحر الجار[٢]، وقد صمم الميناء بشكل هندسي يمنعه من الغرق داخل أمواج البحر الأحمر[٣]، وكان محصنًا تحصينًا دقيقًا، حيث ذكر المقدسي واصفاً إياه قائلاً: " والجار على ساحل البحر محصّنة بثلاثة حيطان والربع البحريّ مفوّه، بها دور شاهقة وسوق عامر خزانة المدينة ومدنها حمل إليهم الماء من بدر والطعام من مصر، وليس لجامعهم صحن"[٤]، فالمدقق في الوصف السابق يظهر له مدى ازدهار ميناء الجار اقتصاديًّا، خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، فإن الجار كانت محاطة بالأسوار من جوانب ثلاثة، وهذا يدل على كثرة التحصينات التي كانت عليها المدينة، لما بها من كثرة المخازن التجارية، وكثرة البضائع الموجودة فيها وثراء أهلها، فكانت تلك التحصينات حتى يأمن أهلها من السرقة، والحد الرابع كان البحر، ووصف بأنه مفوه، وهذا يدل على أن الرصيف التي كانت تحط به السفن كان كبيرًا، مما يظهر كثرة السفن الواردة إليه، وأن الميناء يستطيع أن يستوعب عددًا كبيرًا من السفن من جميع أنحاء العالم، أما عن وصف قصور الجار بأنها شاهقة، ففيه دلالة على ارتفاع البناء وارتفاع البناء

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، ت٣٦٧ هـ / ٩٧٧م، صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٥م، ص٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٩٢– ٩٣.

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، ت ٣٦٥، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦، ص١٣٠.

(٣) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين الهاشم، مراجعة ايغور باليايف، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م، ص١٢١.

(٤) المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، تحقيق، غازي طليمات، ص ٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢/٩٦؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت ٩٠٠هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – ط٢، ١٩٨٠ م،، ص١٥٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ١/ ١٤٣؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م، ١٥/ ١٠٠.

يدل على ثراء أهلها، ويقابلها من جهة مصر ميناء عيذاب[١]، وبدأ ميناء الجار يدب فيه الضعف بداية من القرن الخامس الهجري، وظهر ذلك من خلال الوصف، فمنهم من ذكرها أنها مدينة على ساحل بحر القلزم [٢]، وهي "قرضة المدينة"، واتفق الأغلبية

---

(١)عيذاب: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في ضفة البحر الأحمر، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة، ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهي محط السفن من جدة من التجّار وغيرها، وهي تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط في البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا في موضعين، ومرسى عيذاب مأوى لجماعة بني يونس، والفجور فيهم فاش لا ينكره منهم منكر، ولا يكترى منه بيت إلا بشترط نفقة صاحبة البيت وإجراء الخلوة بها، وهم يأخذون من التجار عُشُوراً، وفيها قبالة الكلب، وهو كلب كان هناك للأمير في القديم. ومن عيذاب تسير القوافل إلى مدينة سواكن. ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ١٧١؛ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة، ت ٧٧٩هـ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطة،، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧ هـ، ١/ ٣٩؛ ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، ت ٦١٤هـ، رحلة ابن جبير دار ومكتبة الهلال بيروت، ١/ ٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢٣.

(٢) بحر القلزم: وهو أيضا شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان في بحر الزنج وعدن ثم يمتد مغربا، وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر، وبذلك سمّي بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فعلى ساحله الجنوبي بلاد البربر والحبش، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب، فالداخل إليه يكون على يساره أواخر بلاد البربر ثم الزّيلع ثم الحبشة، ومنتهاه من هذه الجهة بلاد البجاء الذين قدّمنا ذكرهم، وعلى يمينه عدن ثم المندب، وهو مضيق في جبل كان في أرض اليمن يحول بين البحر وامتداده في أرض اليمن، صار بحرا عظيما، فهو يمرّ بساحله الشرقي على بلاد اليمن وجدّة والجار وينبع ومدين، ثم يدور تلقاء الجنوب إلى القصير، وهو مرسى للمراكب مقابل قوص، بينهما خمسة أيام، ثم يدور في شبه الدائرة الى عيذاب وأرض البجاء ثم يتصل ببلاد الحبش، والقزم مينا أهل مصر إلى مكة والمدينة، وبينه وبين الفسطاط سبعة أيام، فى بريّة معطشة، يحمل من مصر إليه الغلال على الظهر، ثم تطرح في المراكب ويتوجه بها إلى الحرمين. ياقوت، معجم البلدان (٢/ ٩٢)؛ مجهول ت، بعد ٣٧٢هـ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١٤٢٣ هـ، ص ١٧٤؛ أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، ت ٤٨١هـ، سفر نامه، تحقيق د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد – بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ص ١٢٠؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ت ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣ هـ، ١/ ٢٣١؛ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، ت ٩١١هـ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٩ هـ، ٤/ ٤٧.

على أنها: " قرية كثيرة القصور، كثيرة الأهل، على شاطئ البحر فيما يوازى المدينة مرسى قريب من جدة، وكانت قبل هذا مدينة تأتي إليها السّفن من مصر محملة بالطعام وكذلك من الحبشة، ومن البحرين والصين، وسائر بلاد الهند وعدن وشرق أفريقيا"(١)، وقد اختلفت الآراء بداية من القرن الخامس الهجري، فذكرها البعض بأنها مدينة والبعض الآخر ذكرها قرية، بالرغم أن الروايات اتفقت على أنه يوجد بها الكثير من القصور، وعادة، كثرة القصور والتطور المعماري يكون في المدن، وليس القرى، ولكن أغلب الظن أن الرحالة والمؤرخين الذين ذكروها بأنها قرية ربما بسبب ركود الحركة التجارية فيها عما كانت قبل ذلك، والرأي الثاني أن حجمها كان أصغر بداية من القرن الخامس الهجري عن القرون الأربعة الأولى، وهي من أعمال المدينة المنورة (٢)، ووصفها بأنها قرية كثيرة القصور يدل على أن أهلها مازالوا أغنياء. (٣)

أما عن مدينة الجار، فهي مقسومة إلى قسمين: نصفها في البحر، والنصف الثاني على الساحل، ويجاورها قرية في جزيرة من البحر، مساحتها تبلغ ميلاً في ميل، لا يدخل إليها غير السفن القادمة من الحبشة على وجه الخصوص، وتسمى جزيرة قراف(٤)، ومن الملفت للنظر أن المدينة لا يوجد بها عيون للماء، فكان الماء

---

(١) الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، ت: ٥٦٠ هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، ١/ ١٤٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ١٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨ / ٢٥٧؛ الأندلسي، معجم ما استعجم، ٢/ ٣٥٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ٣ / ٢١٩؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ٤٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٥٣.

(٢) الأندلسي، معجم ما استعجم، ١/ ١٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٩٢.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، ت ٣٦٥، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦، ص١٣٠.

(٤) قراف: قرية في جزيرة من البحر، مساحتها عبارة عن ميل في ميل، ووسيلة الاتصال بينها وبين الجار السفن، ومخصصة لسفن الحبشة فقط، وسكانها تجار كسكان أهل الجار. الأندلسي، معجم ما استعجم، ٢/ ٣٥٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ٣/٢١٩؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ٤٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٥٣.

ينقل إليها من عين يليل التي تبعد عن الجار بمقدار فرسخين [١]، ونُكر أن الماء العذب ينقل إليها من بدر[٢]، وبها مسجد جامع ولها أحساء خارج المدينة يسقون منها، [٣]، أما عن موقعها، فهي تقع غرب بدر على ساحل البحر الأحمر بينها بين بدر حوالي عشرين كيلو متر، وإلى الجنوب الشرقي من الجار قرية الرايس التي تسمى البريكة [٤]، وكل ما يحتاج إليه سكان بدر يأتي إليهم من الجار، وكان يطلق عليها قبل الجار بولا [٥]، وكانت الجار بما لها من مكانة عظيمة مؤثرة في الشعراء الذين كانوا دائمي الكتابة عنها في كتاباتهم وليست مقصورة فقط على النتاج الأدبي بل كانت أيضًا تتناول مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية[٦]، فهي مدينة تاريخية ظلت ميناءً عامرًا للمدينة المنورة حتى نهاية القرن السادس الهجري، إلى أن انهارت تمامًا في بداية القرن السابع الهجري. [٧]

وينسب إلى الجار الكثير من العلماء والمحدثين، منهم: سعد الجاري وفي حديثه اختلاف، وهو سعد بن نوفل مولى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان استعمله على

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٥٣؛ ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي، ت ٦٩٠هـ، تاريخ المستبصر، ط١، القاهرة ١٩٦٥م، ١/ ١٢٠.

(٢) محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط١، ١٤١١ هـ، ص٨٥.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ١٥١.

(٤) محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة، ص ٨٥؛ سعيد بن عبد الله القحطاني، ميناء الجار من العهد الراشدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري من حيث الاستمرارية والتحول في النشاط التجاري، الجمعية التاريخية السعودية، العدد العاشر، مجلد ٢، ٢٠٠٧ م، ص٢٧٥.

(٥) محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة، ١/ ٥٤؛ اغناطيوس كراتشكوفكس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢١.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص ١٥٣.

(٧) حمد الجاسر، بلاد ينبع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٦٦م، ص٤٨؛ عبد السلام بن محسن آل عيسى، دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢/ ١٠١٧.

الجار، روى عنه ابنه عبد الله. (١)، وأيضاً عبد الملك الجاري مولى مروان بن الحكم. (٢)

أهم القرى والمدن التابعة للجار: تقع الجار في الجزء الشمالي الحجاز، ويتبع الجار بعض القرى والمدن منها:

حسنى: جبل بين الجار وودّان. (٣)

كلفي: موضع بين الجار وودّان تقع، أسفل من الثّنيّة وفوق شقراء. (٤)

البزواء: منطقة مرتفعة تقع بين الجار وودّان، يسكنها بنو ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنان. (٥)

السّرير: موضع بقرب الجار، وهي فرضة أهل السفن الواردة من مصر والحبشة على المدينة، تقع على يسار الجار أسفل عين الغفاريّين، وهي واد بخيبر. (٦)

ذات السّليم: بئر قريب من الجار. (٧)

قَرَاف: قرية في جزيرة من بحر اليمن بحذاء الجار سكانها تجار كنحو أهل الجار يؤتون بالماء العذب من نحو فرسخين. (٨)

غيقة: تقع في ساحل بحر الجار فيه أودية ولها شعبتان إحداهما ترجع فيها والأخرى في يليل وهو بوادي الصفراء. (٩)

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٩٣؛ صفي الدين الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، ٧٣٩هـ، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، ١/ ٣٠٥.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ٤٦.

(٣) بفتح أوله وإسكان ثانيه، وبالنون، مقصورة. الإدريسي، معجم ما استعجم، ٢/ ٣٥٦.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) بضم أوّله، على لفظ تصغير الذي قبله. الأندلسي، معجم ما استعجم، ٣/ ٧٣٧. معجم البلدان (٣ / ٢١٩)؛ صفي الدين الحنبلي، مراصد الاطلاع، ٧ / ٧١٢؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ٩١.

(٧) الاندلسي، معجم ما استعجم، ٣/ ٧٣٧، ٣/ ٧٥٢.

(٨) بالفتح، وآخره فاء. ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٣١٧.

(٩) ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٢٢٢؛ صفي الدين الحنبلي، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٠٧٢.

كتانتان: هضبتان مشرفتان على الجار تقع جانب الرمل. (١)

بحير: بلفظ تصغير بحر: عين غزيرة تقع في يليل، ومنها يشرب أهل الجار. (٢)

سواكن: بلد مشهور على ساحل بحر الجار، مرفأ لسفن الذين يقدمون من جدّة. (٣)

يليل: واد بناحية ينبع والصفراء، يصب في البحر، وبه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون، وتجري في الرمل فلا يستطيعون الزراعة عليها إلا في أحياء الرمل، ويزرع بها النخل وبالبقول، وتسمى النجير، ويتلوها الجار. (٤)

ثانيا عوامل انهيار ميناء الجار:

عملت مجموعة من العوامل على عرقلة الحركة التجارية في ميناء الجار وتسببت في ركوده، وإن كانت تعود الحركة إلى طبيعتها بزوال تلك الأسباب غير أنها عملت على انهيار ميناء الجار تماماً ومن هذه العوامل:

القحط في الحجاز: مرت الحجاز بالكثير من الأزمات خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولعل أبرز هذه الأزمات القحط الذي أصاب الحجاز في الأعوام التالية: ففي عام ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م حصل قحط في بلاد الحجاز وكان على أثره موت الكثير من سكان الحجاز، مما دفع سلطان مصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٠ / ٤٨٧ هـ – ١٠٢٨ /١٠٩٥م) (٥) بالإعلان في المساجد بتوقف الحج في هذا العام، وذلك شفقة على المسلمين من القحط الموجود في الحجاز، وحتى لا يصيبهم مكروه، غير إنه لم يقصر، فيما كان يتوجب عليه تجاه الأماكن المقدسة من إرسال

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٣٦.

(٢) صفي الدين الحنبلي، مراصد الاطلاع، ١/ ١٦٧.

(٣) صفي الدين الحنبلي، مراصد الاطلاع ٢/ ٧٥١.

(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ١٦٥.

(٥) المستنصر بالله الفاطمي: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم أبي علي منصور بن العزيز بن المعز، العبيدي المصري، ولي الخلافة بعد أبيه، وله سبع سنين، سنة سبع وعشرين، وأربعمائة ومكث في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/ ٤٤١.

المعونة وكسوة الكعبة مرتين في كل عام، فوصلت كسوة الكعبة في الموعد المقرر، حيث وصلت لبلاد الحجاز عن طريق ميناء الجار، وأكد على ذلك ناصر خسرو الذي كان مسافرا برفقة الوفد لأداء فريضة الحج، فقال: " فَلَمَّا سَافَرت الْكسْوَة مَعَ وفد السُّلْطَان عَن طَرِيق القلزم سَافَرت مَعَهم، فَخرجت من مصر أول ذِي الْقعدَة وَبَلغت القلزم فِي الثَّامِن مِنْهُ، وَمن هُنَاكَ أقلعت السَّفِينَة فَبَلغنَا بعد خَمْسَة عشر يَوْمًا مَدِينَة تسمى الْجَار فِي الثَّانِي وَالْعِشْرين من ذِي الْقعدَة، وقمنا من هُنَاكَ، فَبَلغنَا مَدِينَة الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بعد أَرْبَعَة أَيَّام " (١)، وقد تكرر هذا القحط أيضًا في العام التالي سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م، فقام السلطان بالنداء في الناس بعدم الذهاب للحج في هذا العام أيضًا، بسبب ما يمر به الحجاز من تلك المأساة، ونادى بهذا المرسوم في المساجد، ودعا الناس بأن ينفقوا على لأنفسهم، وما كانوا ينفقونه في الحج ينفقوه على إخوانهم من أهل الحجاز، كمساعدة لهم في تلك المحنة التي يمرون بها بالإضافة للتخفيف على الحجاز بسبب قلة الموارد خوفاً على أهله من الهلاك، حيث ترك الكثير من أهل الحجاز، وكذلك المجاورون ديارهم إلى مصر، فذكر أن عدد من ترك الحجاز بسبب القحط بلغ ٣٥ الف، فمكثوا في مصر سنة كاملة، حيث خصص السلطان لهم من موارد الدولة ما يكفي حاجاتهم من مأكل ومشرب وملبس، فلما زال القحط من الحجاز، ونزل المطر، أعادهم السلطان إلى الحجاز مرة ثانية بعد أن كساهم، وقام بإرسال كسوة الكعبة، وكذلك المساعدات للحجاز وامرائه عن طريق ميناء الجار حيث أكد على ذلك ناصر خسرو أيضاً الذي كان برفقة القافلة في السنة التالية على التوالي، فقال: " وَلَكِن السُّلْطَان لم يقصر الْبَتَّةَ فِي إرْسَال مَا كَانَ يُرْسِلهُ كل سنة من الْكسْوَة وأجور الخدم والحاشية وأمراء مَكَّة وَالْمَدِينَة وصلَة أَمِير مَكَّة وَقد كَانَت ثَلَاثَة آلَاف دِينَار فِي الشَّهْر وَكَانَت ترسل اليه الْخُيُول وَالْخلْع مرَّتَيْنِ فِي السّنة، وعهد بِهَذَا فِي هَذِه السّنة إِلَى رجل اسْمه القَاضِي عبد الله من قُضَاة الشَّام، وَقد ذهبت مَعَه من طَرِيق القلزم وَقد بلغت السَّفِينَة الْجَار فِي الْخَامِس وَالْعِشْرين من ذِي الْقعدَة، وَكَانَ موعد الْحَج قد قرب كثيراً، وَكَانَ الْجمل يُؤجر بِخَمْسَة دَنَانِير، فذهبنا مُسْرِعين"(٢)

(١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١١٠.
(٢) ناصر خسرو، سفر نامه، ص١١٢.

وبسبب سوء الأحوال والقحط الذي كان موجوداً في الحجاز كانت بعض القبائل العربية تقوم بفرض الاتاوات على الحجاج، ومن يرفض إعطاء القبائل ما يريدون كان مصيره القتل، حيث ذكر أيضاً ناصر خسرو: " وَقد حدث أَن قافلة عَظِيمَة أَتَت لِلْحَجِّ من بِلَاد الْمغرب وَفِي أثْنَاء عودة حجاجها عِنْد بَاب الْمَدِينَة المنورة طلب الْعَرَب الخفارة مِنْهُم، فَقَامَتْ الْحَرْب بَينهم وَقتل من المغاربة أَكثر من ألفي رجل، وَلم يعد كثير مِنْهُم إِلَى الْمغرب وَفِي هَذِه الْحجَّة ". (١)

إن المتأمل فيما سبق يلاحظ توقف الحركة التجارية في ميناء الجار في تلك الأوقات بسبب القحط سواء من التجار أو الحجاج، لدرجة أن الكثير من سكان الحجاز والمجاورون تركوا أماكنهم فارين من الحجاز إلى مصر، وذكر عددهم بخمسة وثلاثين ألفاً، وهذا العدد سواء كان فيه مبالغة، أو أقل أو أكثر يدل على حجم القحط الكبير الذي حل بالحجاز وأهله، فالعدد الأكبر هجر دياره وتركها، ومن بقي في الحجاز كان لا يأمن على نفسه مما يقوم به بعض الأعراب من السلب والنهب وقطع الطرق على الأمنين، ويبدو أن الميناء أصبح خاويًا، فلا يعمل إلا في الوقت التي تصل فيه الوفود من مصر بكسوة الكعبة، والمساعدات التي ترسلها الحكومة المصرية لولاة الحجاز، وكذلك احتياجات الحرمين الشريفين مرتين خلال العام.

توتر العلاقات السياسية بين الحجاز ومصر: العلاقات السياسية بين الدول هي أساس ازدهار الحركة التجارية، وحينما يحصل توتر في تلك العلاقات يأتي بالسلب على الحركة التجارية، ففي بداية القرن الخامس الهجري حصل توتر في العلاقات بين مصر، وأهل الحجاز عامة والجار بخاصة، حيث قام الحاكم بأمر الله الفاطمي٣٧٥ / ٤١١ هـ – ٩٨٥ / ١٠٢١ (٢) بمعاقبة أبي الفتوح(٣)؛ لأنه حاول الخروج عليه، ودعا

---

(١) نفسه

(٢) الحاكم بأمر الله: منصور بن نزار ، أبو علي، من خلفاء الدولة الفاطمية بويع بالخلافة وعمره احدى عشرة سنة، وقام بتدبير ملكه خادم أبيه برجوان الخصي الأبيض الى أن كبر ثم قتله سنة ٣٩٠ هـ / واستولى على أمواله، قتل الحاكم بحلوان خارج القاهرة في ثامن عشر شوال سنة ٤١١هـ/ وعمره ست وثلاثون سنة وخلافته خمس وعشرون سنة وشهرًا. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/ ٤١٤؛ الزركلي، الأعلام، ٧ / ٣٠٦.

(٣) أبو الفتوح: هو الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المكي، أمير مكة، بعد أخيه عيسى، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، واستمرت ولايته لمدة ست وأربعين سنة. الفاسي، العقد الثمين، ٣/ ٣٣٨.

لنفسه بالخلافة، فلم يستطع الحاكم السيطرة عليه من الناحية العسكرية، فقام بالضغط عليه اقتصاديًّا، حيث قام بمنع السفر إلى الحجاز حتى لتأدية المناسك الدينية(١)، وكذلك منع صادرات مصر إلى بلاد الحجاز، وكان الغرض من وراء ذلك أن يثور أهل الحجاز على حكامهم، فيكون هذا بمثابة ضغط عليهم، وكان هذا له تأثيره السلبي على ميناء الجار، فعمل على ركود الحركة التجارية في الميناء (٢)، وبعد أن عاد أبو الفتوح إلى مكة طلب من الحاكم العفو، فعفا عنه، فقام الحاكم بعودة كل شيء سلب من الحجاز أثناء الحصار بعد أن قضى على الفتنة، فعادت الحركة التجارية في ميناء الجار إلى طبيعتها (٣)، فبناءً على ما سبق من أراد أن يوقع عقوبات سياسية على الحجاز، فإنه يوقف المساعدات عن أهل الحجاز عن طريق عدم إرسال قوافل تجارية بحرية إلى ميناء الجار، وغيره من موانئ الحجاز. (٤)

إن الملاحظ لما سبق يجد أن التوترات السياسية التي كانت تحصل بين حكام مصر وولاة بلاد الحجاز كان لها تأثيرها السلبي على ميناء الجار أكثر بكثير من تأثير وقت القحط، والذي كانت ترسل فيه كسوة الكعبة، وكذا المساعدات إلى بلاد الحجاز، أما في حال التوترات السياسية فإن الأمر كان أشد وأصعب، حيث لا كسوة للكعبة، ولا مساعدة بل كان يستعمل السلاح الأقوى والأمضى، وقتها وهو السلاح الاقتصادي، حتى ينفر الناس من الوالي ويلجئون لعزله، وبالتالي تقف القوافل التجارية المتجهة إلى الجار، فيعمل على كساد الميناء في تلك الفترة.

المجاعة في مصر: مرت مصر بكثير من الأزمات الاقتصادية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، مما عمل على تأثر الحركة التجارية في ميناء الجار بسبب المجاعة، التي نتج عنها غلو الأسعار في مصر (٥)، فلم يرسل

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ٤/ ٧٦؛ عمر بن فهد، اتحاف الورى، ٤٤١/٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ٩٠/٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٢٦٩.

(٣) جمال سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص٢٧.

(٤) القحطاني، ميناء الجار، ص٢٧٣.

(٥)المسبحي، أخبار مصر، ص١٨٧.

الخليفة المساعدات للحجاز، بل توقف الحج من مصر في هذه السنة [١]، إلى أن زالت الشدة عن مصر، فأرسل الخليفة الفاطمي للحجاز ٤٠ ألف دينار لمكانته الدينية، فكانت أعطية الحجاز ضعف أعطية مصر[٢].

وتكرر هذا الأمر في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، حيث حصل غلاء شديد بالمدينة وميناء الجار، فارتفعت الأسعار لدرجة أن الناس والحجاج، كادوا أن يهلكون، والسبب في ذلك عدم زيادة نيل مصر، فلم يأت منها المعونات للمدينة المنورة، وبلاد الحجاز عامة. [٣]

وكذلك في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، حيث حصلت مجاعة في مصر، واستمرت لمدة سبع سنوات متتالية، ونتيجة لذلك سادت الفوضى وعدم الأمان[٤]، مما أثر على ميناء الجار، فاضطربت العلاقات مع مصر؛ لأن حكام مصر لم يتمكنوا من إرسال المساعدات التي كانوا يرسلونها إلى الحجاز، فاضطربت التجارة في ميناء الجار، وتأثرت بذلك. [٥]

وحينما حصل انخفاض في مياه النيل، توقف امداد المعونات للمدينة، مما كان يؤثر على السكان، فيؤثر بالسلب على التجارة [٦]

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م زادت أسعار الحبوب في الجار والمدينة لتأخر وصول الإمدادات من مصر، فلما وصلت تلك الامدادات ارجعت الأسعار إلى طبيعتها [٧].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ٢/ ١٦٤.

(٢)المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ٢ / ١٧٥.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ٢٧٠.

(٤) صبحي عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، بدون ذكر السنة، القاهرة، ص١١٨.

(٥) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت ٥/ ٣٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٢٧٠.

(٦) المسبحي، أخبار مصر، ص١٩٢.

(٧) الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ٢٧٠.

وفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م ارتفع سعر القمح في بلاد الحجاز، ولما أرسل صلاح الدين الأيوبي معونة القمح من مصر انخفض السعر(١).

ويتضح مما سبق أن مصر كانت هي المنقذ للجار في وقت الأزمات، وكانت لها أكبر الأثر في تقدم، وازدهار اقتصاد الجار وشمال الحجاز، فلم تبخل بأي من منتجاتها الزراعية للجار، ويبين المقدسي مكانة مصر الزراعية، حيث قال: "الفسطاط حسنة الأسواق والمعايش ويطول الوصف بنعت أسواقه، وأنه اشترى به الخبز الحواري ثلاثين رطلاً بدرهم، والبيض ثمانية بدانق، والموز والرطب بها رخيص"(٢)، وعلى الجانب الآخر، فإنه حينما كان يحدث انقطاع للأمطار في الجار، فتزداد الأسعار، مثلما حصل في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م في الجار، فعمل على زيادة الأسعار، فكان المتنفس الأساسي للجار والمدينة المنورة مصر، حيث قاموا باستيراد كل ما يحتاجون إليه من مصر عن طريق ميناء الجار(٣).

إن الملاحظ لسير الأمور يجد أن ما يحصل في مصر من شدة، وضيق يكون انعكاسه بالسلب على الجار، حيث كانت تأتي إليه السفن محملة بالمساعدات بالإضافة إلى القوافل البحرية التي تأتي إلى الميناء، فالواضح من ذلك أن مصر كان لها الجزء الأكبر من التجارة سواء تلك الصادرة منها رأساً أو من الذين يمرون عن طريقها إلى الجار، غير أنه في أوقات الشدة التي أصابت مصر على مدار سبع سنوات جعلت التجار لا تأتي إليها؛ لأن السلع لم تكن موجودة، وهذا أثر بالسلب على الحركة في ميناء الجار بحكم أنه مرآة لما يحدث في مصر، فعمل ذلك على عرقلة الحركة التجارية في ميناء الجار، وعدم ذهاب التجار إليه، فكان من الأسباب التي عملت على اندثار ميناء الجار.

---

(١) ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين، ت ٦٩٧هـ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، ٢/ ١٠١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ١/ ٣٢٢.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٠. ؛ عمر بن فهد، اتحاف الورى، ٢/ ٥٤٧.

تهديد الصليبين للمدينة المنورة: تعرضت المدينة المنورة للتهديد من قبل الصليبين أكثر من مرة، فالمحاولة الأولى كانت في عهد نور الدين محمود سنة ٥٥٧هـ/١١٨١م، حيث حاول الصليبيون سرقة جسد الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهر، وذكر بعض المؤرخين القصة الكاملة لتلك الحادثة، حيث إن نور الدين محمود رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ثلاث مرات يقول له: يا محمود أنقذني من رجلين أشقرين، فذهب نور الدين محمود إلى المدينة، وقبض عليهما(١)، أما المحاولة الثانية، فكانت أيضًا في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، حيث قام أرناط حاكم إمارة الكرك (٢) بحملة على بلاد الحجاز حتى يتحكموا في تجارة البحر الأحمر (٣)، وكان وجهة هذه الحملة المدينة المنورة عن طريق ميناء الجار (٤)، فلما انطلق من الكرك علم بذلك عز الدين فرخشاه (٥) أمير بلاد الشام في ذلك الحين (٦)، فذهب على الفور بجيشه، وهاجم الكرك، كي يجبر أرناط عن الرجوع عن مهاجمة المدينة المنورة، فرجع على الفور أرناط لحماية إمارته، وأثناء عودته هاجم قافلة الحجاج المتجهة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، واستولى عليها، وأسر بعض الحجاج، وأخذ أموالهم(٧)،

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م؛ أبو شامه، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، ت ٦٦٥ هـ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م؛ السمهودي، الوفا، ص١٢٩.

(٢) الكرك: حصن مشهور بناحية الشام ومعقل مشهور. ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٣.

(٣) ابن واصل، مفرج. الكروب ؛ ٢/ ١٠١؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٧٩؛ الذهبي، العبر، ٥/ ٣٤٩.

(٤) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق عبد الله القاضي، ط٢، ١٤١٥ هـ، ١٠ /١٠٥.

(٥) عز الدين فرخشاه: ابن اخي صلاح الدين الأيوبي شاهان شاه. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧/ ١٦٧.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ١٠١.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠ /١٠٥.

وردًّا على ذلك قام صلاح الدين الأيوبي بأسر سفينة كبيرة كان على متنها أكثر من ٢٥٠٠ مسيحياً في طريقهم لزيارة القدس [١].

والمحاولة الثالثة كانت في عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م، فكرر الأمر حاكم الكرك المدعو أرناط[٢] بتجديد مهاجمة بلاد الحجاز، ولكن هذه المرة كانت على طريقة قطاع الطرق، فبدأ بمهاجمة السفن المتوجهة إلى موانئ الحجاز، ومنها الجار، حيث وضع في طريقهم أسطولاً في البحر الأحمر لهذا الغرض [٣]، فأكد ابن واصل على ما قاله: البير شاندور في وصف أحد مؤرخي الغرب لأرناط قائلاً: " إن الأفاق لم يتردد في تحويل فرسانه إلى قراصنة، وحملهم على مهاجمة السفن الإسلامية الماخرة عباب البحر الأحمر معرقلين تجاراتهم، قاطعين طريق الحج بين أفريقيا وآسيا " [٤]، فتوجه أرناط بجيشه تجاه ميناء الجار حتى أصبح بينه وبين الجار مسيرة يوم وليلة[٥]، في الوقت الذي كان صلاح الدين الأيوبي منشغلاً بحصار الموصل [٦]، فأرسل إلى أخيه أخيه العادل أن ينقذ بلاد الحجاز، فتحرك على الفور، وأمر قائد الأسطول المصري حسام الدين لؤلؤ [٧] بالتحرك تجاه الصليبيين، حيث بدأ بأسطول الفرنجة التي كان

---

(١) ابن واصل، مفرج. الكروب، ٢/ ١٠١.

(٢) إرناط: قيل ابرنس الكرك أي حاكم الكرك، وصف في كتب التاريخ والتراجم بأنه أخبث الفرنج وأشرهم وأغدرهم ليس له عهد، ولا ذمة غدر بالحجاج وهاجمهم وأسر وقتل منه الكثير وأخذ أموالهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥ / ٤١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧ / ١٧٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦/ ١١٧.

(٣) صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز ص٢٠٢.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢ / ١٢٨ _ ١٢٩.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص٣٥.

(٦) الموصل: بفتح أوّله، وإسكان ثانية، بعده صاد مهملة مكسورة، مدينة بالعراق سمّيت بذلك؛ لأنّها وصلت بين الفرات ودجلة. الأندلسي، معجم ما استعجم، ٤/ ١٢٧٨.

(٧) حسام الدين لؤلؤ: حاجب الدولة الأيوبية. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت ٨٤٥هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا –دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ١/ ٣٩٢.

يحاصر أيلة [١]، فانتصر عليه، وتوجه بعدها إلى ساحل الحوراء [٢]، فانتصر عليهم، وسرح التجار ورد لهم ما سلبوه منهم الفرنجة من الأموال والأمتعة [٣]، فلما علم أرناط بذلك، وأدرك قوة الأسطول المصري عرف أن مصيره يكون كسابقيه، فهرب ولم تذكر المصادر كيفية هروبه [٤]، غير أن حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول أخذ اثنين من الأسرى ونحرهم في منى كما تنحر الأضاحي، والباقية أرسلهم إلى مصر حتى لا يجرؤ أحد مرة أخرى في التفكير في مداهمة الحرمين الشرفين [٥].

وخلاصة القول، فإن كان حكام الدولة الإسلامية سواء نور الدين، أو صلاح الدين الأيوبي كانوا دائمًا متيقظين لما يقوم به الصليبيين من تهديد للمدينة المنورة عن طريق ميناء الجار، وإحباط المحاولات التي يقومون بها سواء لسرقة جثمان النبي صلى الله عليه وسلم، أو ضرب المقدسات الإسلامية، أو محاولة الاستيلاء على تجارة البحر الأحمر بأكمله، وكذلك منع الصليبيين للوصول للاماكن المقدسة، غير إنه هذا لا يمنع من اضطراب الحركة التجارية في ميناء الجار، وخوف التجار على أرواحهم وأموالهم وتجاراتهم، وخصوصًا أن الصليبيين، كانت لهم طرق مختلفة، وصلت في بعض المرات إلى النظام الذي يقوم به القراصنة من قطع الطرق على السفن، فكان هذا من أهم الأسباب التي عملت على ضعف الحركة التجارية في ميناء الجار، وكانت من أولى المقدمات لانهياره.

هجوم الأعراب على ميناء الجار: قامت إحدى القبائل العربية بالهجوم على

---

(١) أيلة: مدينة جليلة على ساحل البحر الأحمر وبها يجتمع حاج الشام وحاج مصر. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ت بعد ٢٩٢هـ، البلدان، ط١ ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.، ١/ ١٧٨.

(٢) الحوراء: فتح أوله، ممدود، تأنيث أحور: فرضة من فرض البحر تلقاء ينبع، ترفأ إليها السّفن من مصر. الأندلسي، معجم ما استعجم، ٢/ ٤٧٤.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢ / ١٢٨ – ١٢٩.

(٤) نفسه.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢ / ١٢٨ – ١٢٩.

ميناء الجار، وهي قبيلة بني سليم [١]، حيث بدأ الأمر باللعب في الأسعار، والفساد في أسواق الجار، بكافة أنواعه، فالواضح أن هذا الأمر لم يحظ برضى بعض القبائل الأخرى مثل قبيلة بني كنانة [٢]، وقبيلة باهلة [٣]، مما دفع قبيلة بني سليم التعدي على ميناء الجار وتخريبه والاستيلاء على ممتلكات التجار، فقامت حرب بينها وبين بني كنانة وباهلة، حيث كان على رأس قبيلة بني سليم عذيزة بن قطاب السلمي [٤]، فقتلوا وأصاب بعضهم، فأرسل الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٣٢/٢٠٠هـ –

(١) بنى سليم: قبيلة عربية عدنانية قيسية، كانوا وما زالوا يقيمون فى الحجاز ونجد، وقد هاجرت بطون منهم إلى ليبيا وتونس، وبقيت بطون منهم من فرع بنو الحارث بن بهثة بن سليم فى ديارهم الأصلية فى الحجاز ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة فى محافظة الكامل وفى وادى ستارة و وادى ساية و وادى قديد وفى حرة بنى سليم على طريق الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وهم أخوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيثُ إنه قال فى حديثه الشهير: أنا ابن العواتك من سليم، وتنسب إلى سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام. السمعاني، الأنساب، ١٣ / ١٨٣؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ١/ ٣٤.

(٢) بني كنانة: بكسر الكاف وفتح النونين ، فهي قبيلة خندقية مضرية عدنانية ينتمي إليها النبي صلى الله عليه وسلم، موطنها الأصلي في السعودية يتواجد معظم أفرادها اليوم في العراق والأردن ومصر والسودان والاحواز وفلسطين وبشكل أقل في تونس والمغرب وسوريا واليمن وتنسب إلى كنانه بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والعدنانيون هم من بني النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، ت ٢١٣هـ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة والسمهودى مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ٢/ ٣٩٧؛ السمعاني، الأنساب، ١/ ١٥؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ١/ ١٥٢.

(٣) باهلة: هم بنو معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن قيدار بن نابت بن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام وأَعْصُرُ له ولدان هما: مالك وعمرو، فمالك هو أبو قبيلة باهلة، وعمرو هو أبو قبيلة غنى، وأمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج نسب إليها أولاد معن. ابن هشام، السيرة، ١/ ١٦٥؛ ؛ السمعاني، الانساب، ٢/ ٧٠؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ١/ ١٦٩.

(٤) عذيزة بنت قطاب السلمي: (٠٠٠ – ٢٣٠ هـ = ٠٠٠ – ٨٤٥ م) شاعر، بني سليم ومن أكابرهم. الزركلي الأعلام، ٤/ ٢٢٢.

٨٤٧/٨١٥م) [١] مدداً لوالي المدينة في ذلك الوقت محمد بن صالح بن العباس الهاشمي [٢]، بقيادة حماد بن جرير الطبري[٣]، بلغ عدده مائتي فارس أغلبهم من الشاكرية [٤]، لكي يؤدب بني سليم على ما قاموا به من تخريب لميناء الجار، وتعطيل الحركة به، فخرج إليهم حماد، ومعه عدد من المجاهدين من أهل المدينة، فلقي طلائع بني سليم عند الرويثة [٥]، وكانت بني سليم وقتها كارهين للقتال، غير أن حماد أمر بقتالهم على ما قاموا به من أفعال شنيعة في الجار، حتى لا تسول نفس أحد للعودة لهذا الأمر سواء منهم، أو من غيرهم، ولكن حماد فوجئ بأن عدد بني سليم أصبح كبيرًا بعد أن جاء إليهم امدادات كبيرة، ففاقوا عدد جيش حماد، واستطاعوا النصر عليه، وقتل عدد كبير من جنوده، مما جعل بنو سليم يحس بزهوة النصر، وأحسوا ألا يستطع أحد أن يقف في وجوههم، فعاودة الكرة مرة ثانية من خلال قطع الطرق والسلب والنهب، ومهاجمة القرى وتخريبها، فأصبحت الطرق غير أمنة، ولا يأمن التجار ولا غيرهم السير فيها، فبلغ ذلك الخليفة الواثق بالله (٢٠٠/ ٢٣٢هـ – ٨٤٧/٨١٥م)، فاحس بالخطر؛ لأن هذا الأمر لم يصبح يهدد المنطقة فحسب، بل يهدد أرواح الحجاج من جميع أنحاء العالم الإسلامي القادمين إلى ميناء الجار، وكذلك التجارة في الجار بالإضافة إلى ما وقع على أهل

(١) الواثق: هارون الواثق باللَّه ابن محمد المُعْتَصِم باللَّه ابن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧ هـ فامتحن الناس في خلق القرآن. وسجن جماعة، وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي، بيده سنة ٢٣١. الزركلي، الأعلام، ٨/ ٦٢.

(٢) محمد بن صالح بن العباس الهاشمي: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من كتب التراجم.

(٣) حماد بن جرير الطبري: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب التراجم.

(٤) الشاكرية: عباره عن فرقة من جند الأتراك ظهرت في أيام المهتدى واستفحل أمرها في أيام المستعين بالله. ابن الجوزي، المنتظم، ١٢ / ٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٦/ ٢٣٥.

(٥) الرويثة: بالضم وفتح الواو وسكون المثناة تحت وفتح المثلاثة آخره هاء، تصغير روثة، واحدة روث الدواب أو روثه الأنف وهو طرفه، موضع بين مكة والمدينة، وسميت بذلك حينما رجع تبع من قتال أهل المدينة نزل الرويثة وقد أبطأ في مسيره، فسماها الرويثة من راث إذا أبطأ. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٠٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، ٤/ ٨٥.

الجار من خسارة، فأرسل إليهم بغا الكبير أبو موسى التركي[١] في جيش ضم الشاكرية والأتراك والمغاربة، فوصل إليهم ولقيهم في حرة بني سليم [٢]، وكانت الوقعة في شرق الحرة من وراء السوارقية [٣]، وكان يتولى قيادة بني سليم عذيزة بن قطاب والاشهب، وهم من أكابر بني عوف، فاستطاع بغا أن يقتل منهم قرابة خمسين رجلاً، ويأسر مثلهم، فأنهزم بنو سليم، وفر الباقي من جنودهم غير أن بغا بعد الوقعة أقام بالسوراقية، ودعا بني سليم للأمان، فحضر إليه بعضهم، وهرب البعض الآخر، فقبض على الذين كانوا يقومون بالفساد، وقطع الطريق، حيث بلغ عددهم ألف رجل، وأخلى سبيل من علم بأنهم لا يقومون بأي أعمال تخريبية من فساد وقطع للطرق ورجع إلى المدينة بمن معه من الأسرى، وقام بحبسهم في الدار المخصصة لذلك، وهي الدار المعروفة بدار يزيد بن معاوية، ثم ذهب لإداء فريضة الحج، وبعد انتهاء الحج ذهب إلى ذات عرق [٤]، المقيم بها بني هلال ، وعرض عليهم نفس ما عرض

---

(١) بغا الكبير: بغا الْكَبِير أَبُو مُوسَى التركي لَهُ فتوحات ووقعات، وَكَانَ مَمْلُوك الْحسن بن سهل الْوَزِير، دخل في العديد من الحروب، ولم يجرح أبداً، ووصف بحسن الأخلاق والتدين اختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٢٥٠ للهجرة وقيل سنة ٢٤٨ للهجرة. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٠٩٣؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ت ٧٦٤هـ، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ١٠/ ١٠٩.

(٢) حرة بني سليم: تبعد عن المدينة بمقدار عشرة فراسخ وتقع تحت قاع النقيع وتتصف أراضيها بأن بها رياض وقيعان. اليعقوبي، البلدان، ١/ ١٥١؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ٤/ ٥٧.

(٣) السوارقية: بفتح أوّله وضمّه، وبعد الراء قاف وياء النسبة، ويقال السّويرقية بلفظ التصغير، وصفت بأنها قرية غنّاء كبيرة، يسكنها الكثير من الناس، يوجد بها مسجد جامع، وسوقها عامر تأتيه التجار من مختلف الأماكن، وهذا السوق خاص ببني سليم، حيث إن كل فرد من أفراد بني سليم له فيه نصيب، أما عن الماء المحيط بها فهو مالح، لذا يأتون بالماء العذب، من آبار في واد سوارق، وواد الأبطن، ويوجد بها المزارع والنخيل الكثيرة، ويزرعون بها الموز والتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ، وفي مراعيهم يوجد، الإبل والخيل والأغنام. المقدسي، أحسن التقاسيم، ١/ ٧٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٢٧٦.

(٤) ذات عرق: يقع بقرب أوطاس وبينها وبين وجرة سبعة وعشرون ميلاً، وذات عرق ميقات أهل العراق، وهو مكان كثير السكان، ويحيط به الكثير من الأشجار، وأهله يأخذون الماء من البرك، ويتصف مسجدها بأنه كبير والمسافة من من ذات عرق إلى بستان ابن عامر اثنان وعشرون ميلاً، ومن بستان ابن عامر إلى مكة أربعة وعشرون ميلاً. الحميري، الروض المعطار ص ٢٥٦؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ٣/ ١٨١.

على بني سليم، فأصلح أمرهم [١].

وبعد مرور عامين، وبالتحديد في سنة ٥٣٢هـ/ ١٢٠٤م، عاد الأعراب مرة ثانية للفساد وقطع الطرق، فوصل الأمر إلى مسامع الواثق (٢٣٢/٢٠٠هـ–٨٤٧/٨١٥م)، وكانت هذه المرة يقوم بها بني نمير[٢]، فأرسل إلى بغا يأمره بقتالهم، فخرج إليهم من المدينة، ومعه محمد بن يوسف الجعفري [٣] كدليل له في الطريق، فالتقى بجماعة منهم أثناء سيره، فاستطاع بغا أن يهزمهم وقتل منهم ما يقارب نيفاً وخمسين رجلاً ، وأسر منهم حوالي أربعين رجلاً، ثم انطلق إلى اليمامة، ومكث بها، ثم أرسل إليهم يعرض عليهم الأمان، وعدم الرجوع مرة أخرى لتلك الأفعال مرات متعددة، فكان كلما يرسل إليهم رسول يعتدوا عليه بالسب والشتم، وأخيراً أرسل إليهم اثنين أحداهما من بني تميم[٤] والآخر من بني نمير، فقاموا بقتل التميمي، أما النميري، فعاد جريحًا فيئس منهم، فذهب إليهم، فقامت الحرب بين الطرفين، فصعدا بني نمير جبال اليمامة، فقامت الحرب، فهزمهم بغا في البداية وأسر منهم ألف رجل، والتقى بهم

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٢٧٨؛ سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزأُوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي ت ٥٨١ – ٦٥٤ هـ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، ١٤ / ٣٩٣؛ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ١١/ ١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ٦/ ٨٠.

(٢) بني نمير: بطن من عامر بن صعصعة، وهم أبناء نمير بن عامر بن صعصعة، وهم أحد القبائل العربية، كانوا لا يدخلون في تحالف مع أي قبيلة من قبائل العرب. السمعاني، الأنساب، ٥/ ٥٢٧؛

(٣) محمد بن يوسف الجعفري: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من كتب التراجم.

(٤) بني تميم: قبيلة عربية تسكن في الدهناء واليمامة، وشمال إقليم نجد ويرجع نسبهم إلى تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢/ ٢٢٠؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ١/ ١٨٨.

مرة ثانية في مكان يعرف ببطن السر[١]، ولكن النصر في هذه المرة كان حليف بني نمير، فقتلوا من عسكر بغا حوالي مائة، وغنموا من أبلهم حوالي ٧٠٠، ومائة دابة، فقرر بغا أن يذهب إليهم بنفسه، وكان الليل قد دخل، فأرسل إليهم الرسل أن يستسلموا، ولكنهم رفضوا تمامًا، فأشار محمد بن يوسف على بغا بعدم قتالهم ليلاً، حتى لا يرون قلة عددهم في النهار، غير أن بغا رفض وانتظر الصباح، فلما رأى بني نمير قلة عدد جنود بغا استهانوا بهم، فقاتلوهم حتى أدرك بغا بأنه وجيشه هالك لا محالة، ولحسن الحظ أن بغا أرسل حوالي مائتي فارس لنبي نمير، فحضروا في الوقت المناسب، فادركوه، فحملوا على بني نمير، فانهزموا، ولم يفلت من رجالهم أحد، أما فرسانهم، فقد هربوا إلى الجبال، وأقام بغا هناك ثلاثة أيام حتى استطاع القبض على أعيان بني نمير، وذهب بهم إلى المدينة غير أنهم في الطريق حاولوا الهروب واستطاعوا فك قيودهم، فقام بجلدهم، وأخذ الأسرى، وكذلك من في سجن المدينة إلى بغداد من الأعراب بعد أن قتل منهم حوالي الفي ومائتي رجلاً والباقي صالحهم، وهدأت الأمور [٢].

خلاصة القول، فإن هجوم الأعراب على ميناء الجار كان بداية انهيار ميناء الجار، حيث بدأت بالحرب الاقتصادية التي قام بها بنو سليم من محاولة اللعب في الأسعار، فكان لهم أسواق في ديارهم، فكانت تأتيهم السلع والبضائع، وأغلب احتياجاتهم عن طريق ميناء الجار بواسطة التجار الوسطاء، ولكن ربما دار في عقولهم أن يهيمنوا على التجارة، ويكونوا هم أصحاب التجارة في ميناء الجار بأكمله، فلم يرض هذا الأمر باقي القبائل، مما دفعهم للوقوع في حروب، فالذي لم يستطيعوا أن يأخذوه بالحيلة حاولوا أن يأخذوه بالقوة، فكانت نتيجة هذا أن قاموا بتخريب ميناء الجار وسلب ونهب أموال أهله، وكذلك التجار القادمين إليه، فهذا العمل البشع كان من نتيجته أن الحركة التجارية بدأت في الضعف، وبدأ التجار لا يأمنون على أنفسهم، ولم يكتفوا بذلك بل

---

(١) بَطْنُ السِّرِّ: واد ب يقع ين هجر ونجد. ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٤٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٢٧٩؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ١/ ٤٢٤.

قاموا بقطع الطرق، ولا حيلة لولاة الحجاز في صدهم عما يقومون به من أعمال تخريبية تهدد التجار والحجاج، إلى أن وصل الأمر لمسامع الخليفة العباسي الواثق الذي قام بإرسال من قضى على تلك الفتنة التي قام بها بنو سليم، وإن كانت الخلافة العباسية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام من حاول إثارة الشغب في الحجاز، غير إن تلك الأمور عملت على ضعف الحركة التجارية في ميناء الجار بداية من القرن الرابع الهجري، فلم يخرج من أذهان العامة والتجار هذا الأمر، فعلى التاجر أن يفكر ألف مرة قبل أن يأت إلى الجار، خوفاً من عودة بعض القبائل العربية لتلك الأفعال، فيخسر بذلك التجار تجارتهم أو يتعرضون للقتل، فكان لذلك تأثير سلبي على ميناء الجار، ومن الأسباب القوية على بداية اندثار ميناء الجار، وإن ظل العمل به أكثر من ثلاثة قرون، غير أن الحركة التجارية كانت فيه ضعيفة مقارنة بالقرون الأربعة الأوائل منذ بدية الدولة الإسلامية، فكان طيلة هذا الوقت كان الحكام في مصر يفكرون في كيفية الخلاص من تلك التهديدات وعودة الحياة في تلك المنطقة لطبيعتها، وذلك من خلال غلق ميناء الجار مع وجود البديل.

خلاصة القول: إن ميناء الجار لم يتوقف العمل فيه مباشرة، ودون سابق إنذار، ولكن الحركة التجارية بدأت تضعف فيه منذ أواخر القرن الرابع الهجري، فظل على مدار ثلاثة قرون مفتوحاً أمام التجار والحجاج، غير أن الحركة التجارية أضحت فيه من سيء إلى أسوأ، لدرجة أنها كانت تتوقف أشهر عديدة، وحينما ترجع لطبيعتها تكون في غاية الضعف، ومما سبق تتكشف بعض العوامل التي عملت على اندثار الحركة التجارية في ميناء الجار خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين والتي كانت سببًا أساسيًّا في انتهاء ميناء الجار، أولها كان القحط الذي كان يصيب بلاد الحجاز، فإن كان هذا العامل يصيب الميناء بالشلل غير أن حركة الميناء كانت عادية، وإن قلَّت عما سبق غير كانت تسير ببطء؛ بسبب ما كانت ترسله مصر من مساعدات، ولكن الأكبر من ذلك ما كان يحدث من شدائد تمر بها مصر، فهذا العامل كان أشد من سابقه، ولكن سرعان ما كانت ترجع الأمور إلى طبيعتها بعدما تزال الشدة التي

كانت تمر بها مصر، غير أن أشد العناصر صعوبة هو محاولات الصليبين المتكررة من خلال مهاجمة ميناء الجار، والتي عملت على تهديد الحركة التجارية في البحر الأحمر بأكمله، وكذلك تهديد المقدسات الإسلامية من محاولة سرقة جسد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهذا تأثيره على التجار الذين باتوا خائفين من الذهاب إلى ميناء الجار خوفاً على أرواحهم، وتجاراتهم مما نتج عنه كساد كبير في التجارة في الميناء الذي كان يعج بالحركة التجارية، ومما زاد الطين بلة ما قامت به بعض القبائل العربية بالهجوم على الجار، ونهب ثرواته وتخريبه، الأمر الذي كان يكلف الدولة نفقات باهظة، إضافة إلى تجهيز جيش يقف في وجوههم، مما دفع حكام الدولة الايوبية إلى اللجوء إلى ميناء آخر يحل محل الجار، فعلى أثر ذلك أصبح ميناء الجار كأن لم يكن، فكانت تلك نهاية مأسوية لأول ميناء في الإسلام، وثاني ميناء في الحجاز بعد جدة على مدار ستة قرون خدم المدينة وشمال الحجاز بأكمله.

ثالثا: النتائج المرتبة على انهيار ميناء الجار: كان لانهيار ميناء الجار نتائج متعددة لعل من أبرزها:

غلق ميناء الجار تماماً: بدأ النظام يختل في الجار، منذ أواخر القرن الرابع الهجري، وذلك نتيجة لضعف الحكام، وما يقوم به قطاع الطرق من القبائل العربية تجاه الجار، فقد تسلطوا عليها بالسلب والنهب، وقتل أهله [١]، ومن الأمور التي كان لها تأثير سلبي على رواج التجارة في ميناء الجار، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكانت بداية في انهياره أمور متعددة ومختلفة ولعل منها تلك الحادثة التي حصلت في مكة عام ٤١٣ هـ / ١٠٢١م، والتي اتهم فيها أحد الحجاج المصريين بالتوجه إلى الحجر الأسود، وبيده سيف، فضرب الحجر في وسطه، فأنقض أحد الموجودين عليه وقتله [٢]، غير أن أبا الفتوح والي مكة في ذلك الوقت دافع عن

(١) حمد الجاسر، بلاد ينبع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٦٦م ، ص٤٧.

(٢) ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي، غاية المرام بأخبار

الحجاج المصريين، ووأد تلك الفتنة المشتعلة [١]، واتضح بعد ذلك أن تلك الفتنة كان وراءها أهل البصرة، ولكن الحجاج المصريين خافوا من الوقيعة بهم، فلم يذهبوا في السنة التالية إلى الحج [٢].

وأيضًا ما كان يقوم به القراصنة من الاعتداء على التجار، ومراكبهم في البحر الأحمر، فقامت الدولة الفاطمية ببناء أسطول قوي لحماية هؤلاء التجار من خطر القراصنة [٣]، وصار الأيوبيون على نفس النمط من حماية التجار[٤]، وأيضًا النزاع الذي كان يحصل بين ولاة الحجاز والدولة الفاطمية، ومن بعدها الدولة الأيوبية من خلال التسابق على ضم الحجاز والسيطرة عليه سياسيًّا [٥].

وكذلك ما كانت تقوم به الحكومة في المدينة المنورة من فرض الضرائب على التجار، مما يؤدي إلى زيادة الأسعار في ميناء الجار، فينعكس ذلك بالسلب على المدينة المنورة، فلما رأى ذلك والي المدينة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد في تلك الفترة ذهب إلى الجار، ولغى الضرائب عن التجار، فاستقرت الأسعار، ولكن كان لهذا صدأ في الحركة التجارية في ميناء الجار فيما بعد [٦] .

أضف إلى ذلك ما كان يحصل في بعض الأعوام من وقف الحج من مصر، حيث

سلطنة البيت الحرام، دار المدني السعزدية، ط١ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ١/ ٤٩٣.

(١) ابن تعري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ، ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر ٤/ ٢٤٨ .

(٢) المسبحي، محمد بن عبيد الله المسبحي، أخبار مصرفي سنتين ٤١٤هـ / ٤١٥هـ ، تحقيق وليم ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٤.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/ ٥٢٠ .

(٤) عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية القاهرة، ص١٧٦ .

(٥) محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العرب، ١٩٧٦ م، ص٢٣.

(٦) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ، ٩/ ٥٥٣ .

ذكر عمر بن فهد: "كان للحجاج المصريين الأثر الكبير في الحركة التجارية في ميناء الجار، فلو توقف الحجاج المصريين في أي عام من الأعوام كان يحدث كساد للتجارة في ميناء الجار، وتضعف الحركة التجارية في الميناء، وعلى ذلك الأمثلة المتعددة في بعض الأعوام، ومنها ما حصل سنة ٥٦٢ / ١١٦٦م، فلم يأت الحجاج بسبب القتال الذي حصل بين نور الدين، وشيركوه، وبين الفرنج والمصريين، فلم يبيع التجار في الجار على نفس عاداتهم القديمة" (١)

ومن الأمور المهمة ما كان يقوم به قطاع الطرق، حيث كانوا يهاجمون القوافل التجارية التي تذهب لميناء الجار، مما دفع صلاح الدين الأيوبي إلى محاولة تأمين التجارة مع ميناء الجار، فقام بفتح النوبة لتأمين الطرق، وبسبب ما كان يحصل في الحجاز من تجاوزات، قام بضمه من خلال الحملة العسكرية التي أرسلها بقيادة أخيه توران شاه، حيث عمل على حماية ميناء الجار، وتأمينه من خطر الصليبيين(٢).

ومن الأخطاء العظيمة التي كانت موجودة في ميناء الجار فرض مكوس على التجار والحجاج القادمين إلى ميناء الجار، إلى أن رأى صلاح الدين الأيوبي أن في فرض مثل هذه المكوس يقلل من فرص التجارة في الميناء، ويرى عزوف كثير من التجار والحجاج الذهاب إلى الحجاز عن طريق الجار على أثر هذا قام بإلغاء تلك المكوس، وعوض أهل الجار عن ذلك بإرسال المساعدات إلى أهل الحجاز عن طريق ميناء الجار، حيث كان الكثير من الحجاج والتجار لا يستطيعون دفع تلك المكوس، مما يؤثر بالسلب على الحركة التجارية في ميناء الجار، واستمر الميناء على هذا إلى أن قام صلاح الدين بإلغاء تلك المكوس، وعوض أهل وأمراء الحجاز في مكة والمدينة بقيمة تلك المكوس التي بلغت ألفي دينار وألفي أردب من القمح (٣)، وبين ذلك ابن جبير

---

(١) عمر بن فهد، اتحاف الورى، ٢/ ٥٢٩ .

(٢) صبحي عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، بدون ذكر السنة، القاهرة، ص١٤٣.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص٥٥ .

بقوله: " فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين، ودفع عنه عوضاً ما يقوم مقامه من أطعمة وسواها، وتكفل بتوصيل جميع ذلك إلى الحجاز" (١)، ولكن بالرغم من ذلك كان أمراء الحجاز عند تأخر تلك المساعدات كان يقسون على الحجاج، ويعاملونهم معاملة سيئة، مما دفع صلاح الدين إلى تهديدهم (٢)، ويلاحظ أن ميناء الجار قد عين فيه بعض الموظفين ليقوموا بجمع المكوس والضرائب سواء على البضائع، حيث كان الموظفون يقدرون قيمة المكوس تبعا لكل بضاعة (٣)، أو مكوس على الحجاج القادمين للميناء لإداء الشرائع المقدسة، وفرضت تلك المكوس أيام الدولة الفاطمية. (٤)

وكذلك ما كان يقوم به القراصنة من مهاجمة التجار، ووقع هذا الأمر على كبار الطوائف مثل تجار الكارِم(٥)، الذين عرفوا منذ أيام الفاطميين، وكان تجار الكارم ينقلون على الأخص الفلفل والزنجبيل والقرفة والقرنفل والأصباغ وغيرها، وقد شاع استعمال هذه التوابل؛ بسبب رخص أسعارها، فكانوا قليلاً ما يذهبون إلى الجار؛ بسبب ذلك إلى أن قامت الدولة الفاطمية ببناء اسطول، لحماية السفن التجارية من تلك التهديدات (٦)، وبناء على ما سبق يظهر أن تلك الأمور حصلت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، مما أثر على

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٣١.
(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧ / ١١٠ .
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ١/ ١٣٥ .
(٤) ابن جبير، الرحلة، ص٣٠ .
(٥) تجار الكارم: هم فئة من التجار قاموا باحتكار التجارة المتجهة من وإلى الهند وكانت في البداية مقتصرة على المحيط الهندي. عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية القاهرة، ص٩١، أما عن سبب تسميتهم بالكارم فهذا الاسم عام، ولم يعرف السبب في تلك التسمية، عطية القوصي، تجارة مصر، ص١٠١، غير أن هناك تفسير لهذه التسمية يمكن أن يقبله العقل حيث قيل: أن لفظ كارم ليس عربيًّا بل هنديًّا، فالكلمة مقسمة قسمان: الجزء الأول: منها كار وهو عين الحرفة أو العمل بالتجارة والجزء الثاني: منها يم ومعناها المحيط أو البحر وسقطت الياء لتسهيل النطق، فأصبح معناها حرفة التجارة في البحر (٥)، وكانت عدن مركز تجارة الكارم، ومن أهم السلع التي يتاجرون فيها الفلفل والبهار يجلبونها من الهند إلى عدن وبعدها إلى الجار، وكذلك كانت لهم بعض السلع الأخرى مثل الحرير والخشب والدقيق والسكر والتوابل . ابن جبير، الرحلة،ص٦٣ .
(٦) أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، (٣٠١ – ٤٨٧هـ)، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥ م، ص ١٨٣.

ميناء الجار، وبدأت الحركة التجارية تقل فيه بالتدريج إلى أن أصبح ميناء الجار خراباً، وتركه أهله، مما دفع الدولة الأيوبية في البحث عن بديل، وغلق ميناء الجار إلى أن انتهى أمر الجار نهائيًّا في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م(١)

وخلاصة القول: من أهم النتائج المترتبة على انهيار ميناء الجار، غلق الميناء تماماً، حيث لم يتم غلقه فجأة، بل ظل مفتوحاً قرابة ثلاثة قرون، حيث كانت تقل فيه الحركة التجارية بين الحين والآخر، فقد ظلت في الضعف باستمرار إلى أن انتهت تمامًا، وأغلق الميناء على أثرها.

ظهور ميناء ينبع (٢): بدأت بلاد ينبع البحر في أوائل القرن السابع الهجري ٧هـ/ ١٣م، تقوم بدورها في خدمة بلاد الحجاز، بعد أن انتهى ميناء الجار(٣)، حيث كان لابد من وجود ميناء حجازي يستقبل الحجاج القادمين إلى بلاد الحجاز من مصر وبلاد المغرب العربي، وأصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد جدة في موانئ الحجاز(٤)،

حيث إن الأيوبيين ٥٦٧/٦٤٨هـ– ١٧١١/١٢٥٠م(٥)، فكروا في ميناء بديل عن الجار لخدمة المنطقة ، ويعمل نفس العمل الذي كان يقوم به الجار، فتوجهت أنظارهم تجاه ينبع، حيث جعلوها ميناءً رئيسًا للمدينة المنورة سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م،

---

(١) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص٤٧.

(٢) ينبع: بفتح أوّله، وإسكان ثانية، بعده باء معجمة بواحدة مضمومة، وعين مهملة، وهى بين مكة والمدينة، من بلاد بنى ضمرة قوم عزّة كثير. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤/ ١٤٠٢.

(٣) العمايرة، موانئ البحر الأحمر ص٥١؛ البلاع، السياحة في ينبع، ص٢٠٦.

(٤) الجاسر، بلاد ينبع، ص٤٩؛ العمايرة، موانئ البحر الأحمر، ص٥٢.

(٥) الدولة الأيوبية: ٥٦٧ – ٦٤٨ هـ/١١٧١ – ١٢٥٠ م: يرجع أصل الأيوبيين إلى نجم الدين أيوب الكردي الأصل، وأبوهُ يُدعَى شادي من قبيلة الهذبانية إحدى القبائل التي استقرت ببلدة دوين بأطراف أرمينية، اتصل شادى والد نجم الدين أيوب برجل اسمه بهروز كان مربيًا لأبناء السلطان السلجوقي مسعود، ثم أصبح حاكمًا لبغداد تحت سلطة السلاجقة سنة ٥٠٢هـ / ١١٧٤م ، وكانت له مكانة سامية لدى السلطان السلجوقي، فأقطعه السلطان قلعة تكريت، فأسند بهروز حراستها إلى نجم الدين أيوب بن شادي؛ الذى ظل في حكمها وحراستها عدة سنوات اكتسب خلالها الخبرة بشئون الإدارة، وتمتع فيها بحب الأهالي دب خلاف بين بهروز و نجم الدين أيوب، فخرج نجم الدين وأخوه شيركوه، وأهلهما من تكريت عقب هذا الخلاف سنة ٥٣٢هـ /١٢٠٤ م، فحزن الأهالي على ذلك حزنًا شديدًا؛=

فقاموا بشرائه بمبلغ من المال من أشراف بني الحسين[١]، الذين كانوا يحكمون ينبع في

= لما كان يحظى به نجم الدين من محبة في قلوبهم، وقام نجم الدين أيوب بالاتصال بعماد الدين زنكي، فرحب بمقدم أيوب وأسرته إلى الموصل، واستقبلهم وأكرم وفادتهم، ثم أسند حكم بعلبك إلى أيوب سنة ٥٣٤هـ / ١٢٠٦ م، وعين شيركوه قائد الجيش؛ فكانا عند حسن ظنه، وأصبح أيوب محبوبًا من رعيته لعدله، واتصف شيركوه بالشجاعة والإقدام والمغامرة وحب القتال، وشاءت الأقدار أن يولد لأيوب ولد أسماه يوسف ليلة رحيله عن قلعة تكريت سنة ٥٣٢هـ/ ١٢٠٤م، فنشأ يوسف في بلاط زنكي بالموصل، وعُرف باسم صلاح الدين، فأصبح نجم الدين والد صلاح الدين وأخوه أسد الدين شيركوه من كبار أمراء نور الدين محمود الزنكي صاحب الشام، وأصبح أسد الدين نائبًا لنور الدين على مصر، وبعد موت أسد الدين خلفه ابن أخيه صلاح الدين، فكان وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد، ونائبًا عن نور الدين محمود، فاستقل بحكم مصر بعد فترة، وبعد موت نور الدين أخذ دمشق، وكثير من بلاد الشام ٥٦٩ – ٥٧١ هـ/١١٧٣ – ١١٧٥ م ، وأرسل أخاه توران شاه فأخضع كل بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، بذلك كون صلاح الدين جبهة إسلامية موحدة قوية بعد أن عانى المسلمون طويلًا من الفُرقة والضعف، والتشتت فوقف بهذا الجيش في وجه الصليبيين، وانتصر عليهم انتصارًا حاسمًا في موقعة حطين المشهورة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فاسترجع بعدها بيت المقدس وطرد الصليبيين من معظم بلاد الشام بعد احتلال تجاوز التسعين عامًا، وبعد صلاح الدين من أعظم القواد المسلمين الذين وقفوا في وجه الصليبيين واستعادوا البلاد المغتصبة منهم، فاتسعت الدولة الأيوبية بالإضافة إلى مصر والشام خضعت له سواحل طرابلس وتونس وبلاد النوبة والسودان، والحجاز واليمن في عهد صلاح الدين وبعد وفاته، ولم يكن من جاء بعده مثله فأخذت الدولة في الانحدار، وانتهت بموت آخر ملوكها الملك الصالح نجم الدين، فتولت السلطة زوجته المملوكة شجر الدر بعد أن قتلت ابنه توران شاه عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وهكذا انتهت الدولة الأيوبية، وقامت على أنقاضها دولة المماليك. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥/ ٣٧٤؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، ت ٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، ٣/ ٤٥؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، ت ٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١،، ١٤٢٣ هـ، ٢٧ / ١١٥.

(١) الحسينيون: بطن من العلويين من بني هاشم من العدنانية، وهم بنو الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أب يطالب رضي الله عنه، وعلي يأتي نسبه في الكلام على العلويين في الألف واللام مع العين المهملة. قال ابن حزم: وليس للحسين عقب إلا من ابنه زين العابدين، ومن عقبه العبيديون خلفاء مصر قبل الدولة الأيوبية، والجعافرة المنسوبون إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر، وبنو مسلم الذين منهم أمراء المدينة الآن، وبنو الاخيضر القائمون باليمامة، وبنو صالح ملوك غانة من بلاد السودان، وبنو الرسمي أئمة الزيدية باليمن القائمون إلى الآن وباقيهم منتشر في أقطار المشرق والمغرب، وقد ذكر الحمداني ان منهم جماعة على القرب من مدينة منفلوط منسوبة إليهم. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، ص ١٢٨.

ذلك الوقت، فعملوا على تجديده وعماراته [١]، فازدهر الميناء، وأصبحت الحركة التجارية تدب فيه، حيث كثر الاقبال عليه سواء من التجار، أو الحجيج، مما جعل الأشراف يندمون على بيعهم للأيوبيين، فقاموا سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م بالاستيلاء عليه، غير أن الأيوبيين، لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فقاموا بانتزاعه منهم بالقوة، وسيطروا عليه مرة ثانية، ولكي لا تسول للأشراف الحسنيين أنفسهم في معاودة الاستيلاء عليه مرة أخرى، قام الايوبيون بتحصينه، ببناء قلعة حصينة، ووضعوا فيها الجنود، لحمايته، وتوفير الأمن والاستقرار لسكانه ضد أي اعتداءات، ورفعوا منزلته في التجارة، حيث كانوا يسيرون إليه القوافل التجارية، فذاع صيته وشهرته، ليصبح الميناء الثاني في الحجاز بعد جدة [٢]

الملاحظ لما سبق يجد أن من أهم النتائج المترتبة على اندثار ميناء الجار ظهور ميناء ينبع، حيث خطط الأيوبيون لذلك، فقاموا بشرائه من الأشراف الحسينين حكام ينبع في ذلك الوقت، وفكروا في كيفية تحصينه ضد أي معتد، مثلما حصل مع ميناء الجار سابقاً، حيث وضعوا في حسبانهم أمرين أهمهما السيطرة على الحجاز، وذلك للتنافس بين الخلافة العباسية والدولة الأيوبية، حيث تظهر قوة الدولة من خلال السيطرة على الحجاز، فكان تخطيطهم بشرائه، حتى لا ينازعهم فيه ولاة المدينة وينبع، والأمر الثاني رواج التجارة، حيث سيصبح الشريان الرئوي لتلك المنطقة، فيعود بالمكاسب على الدولة الأيوبية، وكذلك على رواج التجارة وازدهارها، فعلم الأشراف بمدى الأهمية التي أصبح عليها ميناء ينبع والخطأ الذين قاموا به من خلال بيعه للدولة الأيوبية، فقاموا بالاستيلاء عليه، مما دفع الدولة الأيوبية، بإرجاعه بالقوة، ولكي لا يحصل له ما حصل مع ميناء الجار، قاموا بتحصينه تحصيناً دقيقاً، ووضعوا به حامية لحراسته، وتأمين التجارة والتجار، وكذلك الحجاج، من أي معتد سواء من الداخل أو من الخارج، لذا كل هذا عمل على ازدهار ميناء ينبع، وأصبح الميناء الثاني في الحجاز بعد ميناء جدة، ومن الدوافع القوية لاختيار ميناء ينبع بعده عن المدينة المنورة، فلا يستطيع أحد أن يهاجم المدينة عن طريق البحر، مثلما كان يخطط الصليبيون قبل ذلك.

---

(١) الجاسر، بلاد ينبع، ص٤٩؛ مالكي، بلاد الحجاز، ص١٤٠؛ الخطيب، ينبع ص٣٥.

(٢)الجاسر، بلاد ينبع، ص٤٩؛ مالكي، بلاد الحجاز، ص١٤٠؛ الخطيب، ينبع ص٣٥.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

- موقع ميناء الجار سَهل على التجار الوصول إليه مما عمل على ازدهار التجار فيه خلال القرون الأربعة الأوائل من الهجرة.
- القحط الذي كان يصيب الحجاز ومصر من العوامل التي عملت على انهيار ميناء الجار.
- تهديدات الصليبيين المتكررة على المدينة بالرغم من تصدى الدولة الأيوبية لها كانت البداية في انهيار ميناء الجار.
- هجوم بعض القبائل العربية على الجار، ونهب ثرواته جعلت التجار لا يذهبون إليه، مما عمل على انهيار الجار.
- توتر العلاقات السياسية بين حكومة مصر، وولاة الحجاز كان من أسباب كساد ميناء الجار.
- كساد التجارة في ميناء الجار؛ بسبب لجوء الدولة الفاطمية إلى معاقبة ولاة الحجاز اقتصاديًّا بعدم إرسال المعونات، وإيقاف الحركة التجارية في الجار.
- غلق ميناء الجار تماماً من أهم النتائج المترتبة على انهيار ميناء الجار.
- حل ميناء ينبع محل ميناء الجار ليخدم المدينة، وشمال الحجاز بأكمله من النتائج المترتبة على انهيار ميناء الجار.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق عبد الله القاضي، ط٢، ١٤١٥ هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، ت ٣٦٥، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦.
- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي، ت ٦٩٠هـ، تاريخ المستبصر، ط١، القاهرة ١٩٦٥م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة، ت ٧٧٩هـ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧ هـ، ١/ ٣٩.
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، ت ٦١٤هـ، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، ت٣٦٧ هـ / ٩٧٧م، صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٥م.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، ت ٢٨٠هـ، دار صادر، بيروت
- ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي، غاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام، دار المدني السعزدية، ط١ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
- ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين، ت ٦٩٧هـ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.
- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ت ٤٨٧هـ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣ هـ.

- بزرك بن شهريار، عجائب الهند، تحقيق عبد الله الحبشي، المجمع الثقافي أبو ظبي، سنة ٢٠٠٠م.
- الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٢٠٠٢م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت: ٩٠٠هـ،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة– بيروت ط٢، ١٩٨٠ م.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، ت ٣٨٧هـ، مفاتيح العلوم، تحقيق، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، ص٨٣؛ آدم متز، تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، دار الكتاب العربي بيروت.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.
- زين الدين الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين، ت ٥٨٤هـ، الأماكن أو اتفق لفظه وافترق مسماه، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥، ص ٧٣٦.
- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، ت٩١١هـ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي، ت بعد ٣٣٠هـ، م رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩ م.
- صفي الدين الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، ٧٣٩هـ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١،١٤١٢ هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.
- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ت ٨٣٢هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٢/ ١٩٨؛ ابن فهد، اتحاف الورى.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ت، ٦٨٢هـ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت.

- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجهول ت، بعد ٣٧٢هـ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١٤٢٣ هـ.
- المسبحي، محمد بن عبيد الله المسبحي، أخبار مصرفي سنتين ٤١٤هـ / ٤١٥هـ، تحقيق وليم ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٠م.
- المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، تحقيق، غازي طليمات، دمشق، ١٩٨٠ م.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت ٨٤٥هـ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال،، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط١.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت ٨٤٥هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- المقريزي، تقي الدين أ[ي العباس أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر بيروت لبنان.
- ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، ت ٤٨١هـ، سفر نامه، تحقيق د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد – بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ت بعد ٢٩٢هـ، ط١ ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانياً: المراجع:

- أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، (٣٠١ – ٤٨٧هـ)، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥ م.
- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين الهاشم، مراجعة ايغور باليايف، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م، ص١٢١.
- أنطوان خليل، الدولة المملوكية،، دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨٠ م.
- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط١، ١٩٩٢م، الدار المصرية اللبنانية.

- جورج فضلوا حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية، ١٩٥٨م.
- حمد الجاسر، بلاد ينبع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٦٦م.
- حمد الجاسر، بلاد ينبع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٦٦م.
- صبحي عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، بدون ذكر السنة، القاهرة.
- عبد السلام بن محسن آل عيسى، دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- عبد الفتاح وهيبه، دراسات في جغرافية مصر التاريخية، ط١، ٢٠١٧ م، بيت الجغرافية.
- عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية القاهرة.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة – مصر، ٢٠١٢ م.
- محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.
- محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العرب، ١٩٧٦ م.
- محمد نصر عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤ م.

ثالثاً: الدوريات:

- الزهراني، ضيف الله بن يحي الجار ميناء ومدينة، القاهرة ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، اتحاد المؤرخين العرب، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.
- سعيد بن عبد الله القحطاني، ميناء الجار من العهد الراشدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري من حيث الاستمرارية والتحول في النشاط التجاري، الجمعية التاريخية السعودية، العدد العاشر، مجلد ٢، ٢٠٠٧ م.
- صالح العلي، مكيات الحجاز، في القرون الأولى، مجلة العرب الجزء ١١ السنة الثالثة، جمادى الأولى، عام ١٣٨٩ هـ.
- يوسف السيد محمد، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري، القاهرة، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، المجلد ١٥، ج١، ١٩٥٣م.